

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَالَةٌ فِي التَّقَدُّمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَآلِهِ  
وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِنَّ الْكِتَابَ بِنَاءٌ شَأْنُهَا أَعَزُّ بِهٍ عِنْدِي وَأَعْظَمُ  
يَعْلَمُ بِهَا قَدْرُ الْفَتَى وَتُعَزُّ صَاحِبَهَا وَتُكْرَمُ  
وَلَقَدْ دَخَلْنَا لِلصَّنَا عَةٍ مِنْ قَرِيبٍ رَبِّ سَلَّمَ<sup>١</sup>

شَكْوَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، بِتَعْنِيفِ الْمَعَاصِرِينَ، وَمَدْحِ الْمُتَقَدِّمِينَ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ  
يُحْصَى، وَالْمُتَكَلِّمُونَ عَلَيْهِ عَلَى أَقْوَالٍ.

مِنْهُمْ مَنْ يَرَى عَامَّةَ النَّاسِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ كَالْمُتَأَخِّرِينَ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ فِي  
مَكَانَةٍ وَلَا مَنْزِلَةٍ، فَهُوَ يَرَى لِلْمَعَاصِرِينَ مِنَ الْفَضْلِ مِثْلَ مَا يَرَى لِلْأَقْدَمِينَ،  
وَيَرَى فِيهِمْ مِنَ السُّوءِ مِثْلَ مَا يَرَى لِمَنْ مَضَى.  
وَمِنْ هَذَا قَوْلُ الْمَعْرِيِّ:

لَا يَخْدَعَنَّكَ أَخْرَانَا كَأَوْلِنَا فِي نَحْوِ مَا نَحْنُ فِيهِ كَانَتْ الْأُمَّمُ<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> : ديوان الهبل ( الحسن بن علي بن جابر ) ص ٢٠٢ . تح أحمد الشامي، الدار  
اليمنية\ط٢\١٩٨٧م.

<sup>٢</sup> : ديوان لزوم ما لا يلزم ٣٢١\٢ . تقديم: د وحيد كباية، حسن محمد، دار الكتاب  
العربي\بيروت\ط٢\١٩٩٨م.

وَقَوْلُهُ:

وَهَكَذَا كَانَ أَهْلُ الدَّهْرِ مُذْفُطِرُوا فَلَا يَظُنُّ جَهْلُ أَنَّهُمْ فَسَدُوا<sup>١</sup>  
وَقَدْ أَلْمَحَ إِلَى هَذَا، الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ أَحْمَدُ، رَحِمَهُ اللَّهُ:

كُنْ صَمُوتًا أَوْ مُتْ بَعِيْظِكَ فَالْتَأَسُّ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ جَيْلًا فَجَيْلًا  
غَلَبَ الْجَهْلُ نَيْرَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلُ — لِي جَمِيعًا فَصَدَّقُوا التَّادِجِيْلًا  
فَتَرَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْكِرُوهُ يُنْكِرُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلًا<sup>٢</sup>

وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى الْمُتَقَدِّمِينَ أَحْسَنَ حَالًا فِي زَمَانِهِمْ، فَلَا يَرَى لَهُ مَثِيلًا فِي  
الْمُعَاصِرِينَ، وَلَا نَظِيرًا مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ.

عَلَى أَنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام:  
( ( وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَدْرِ كَيْسًا، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ  
الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحَيْلَةِ... ) )<sup>٣</sup>

لَمَّا عَجَبْتَ مِنْ شَأْنِ زَمَانِهِ، إِذَا كَانَتْ الْحَالُ فِي زَمَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
عليه السلام عَلَى مَا وَصَفَ مِنْ اتِّخَاذِ أَكْثَرِ أَهْلِ زَمَانِهِ الْعَدْرِ كَيْسًا، عَلَى أَنَّ  
تَأْتِي الْمُتَعَجِّبُ مِنْ زَمَانِهِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِحْسَانِ مَا مَضَى عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُ كَانَ  
خَيْرًا مِمَّا يَرَى.

<sup>١</sup> : ديوان لزوم ما لا يلزم ٣٢١/٢.

<sup>٢</sup> : الإمام الشيخ سليمان الأحمدي ص ١٧٠. د علي سليمان الأحمدي، دار  
الفرقة دمشق ط ٢٠١٠م.

<sup>٣</sup> : شرح نهج البلاغة ٥٢٧/١. الاختيار (٤١). تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة  
العصرية \صيدا\ ط ٢٠٠٤م.

وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَسَنِ الْيُوسُفِيِّ: (( فَالْأَكْمَلُ لِلْإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ، بَلِ الرَّضَى  
بِوَقْتِهِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَفُوزُ بِالْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الَّذِي هُوَ رَبُّ  
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ..... وَقَدْ جَرَتْ عَلَيَّ لِسَانِي فِي هَذَا الْمَعْنَى آيَاتٌ...:

نَحْمَدُ اللَّهَ وَفَتْنَا وَقَتُّ خَيْرٌ      بَدَّ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ  
غَيْرُ وَقْتِ النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ      اللَّهُ وَالصَّحْبِ وَالثَّلَاةِ الْهُدَاةِ  
وَبَنُو الدَّهْرِ هُمْ بَنُو الدَّهْرِ قَدَمًا      هُمْ نَبَاتٌ يَنْمُو بِإِثْرِ نَبَاتِ  
وَالطَّبَاعُ الطَّبَاعُ لَسْتُ تَرَى فِيهِ      هَا نُبُوًّا وَلَا اخْتِلَافَ الصِّفَاتِ  
وَمَنْ اخْتَصَّهُ الْإِلَهُ بِخَيْرٍ      فَهُوَ فِيهِ مِنْ دَارِجٍ أَوْ آتٍ<sup>١</sup>

وَمِمَّنْ وَصَفَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَسْتَشْ نَفْسَهُ، مُحَمَّدٌ بْنُ تَمِيمٍ:

لَكَ الْخَيْرُ كَمْ صَاحَبْتُ فِي النَّاسِ صَاحِبًا  
فَمَا نَالَنِي مِنْهُ سِوَى الْهَمِّ وَالْعَنَاءِ  
وَجَرَبْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ  
فَتَى مِنْهُمْ عِنْدَ الْمَضِيقِ وَلَا أَنْبَاءً<sup>٢</sup>

وَلِلنَّاسِ آرَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ أَمْرُ الْكِتَابَةِ  
وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّقْدِيرِ وَالرَّدِّ وَالتَّعْقِيبِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرِغَبُ فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
يَرِغَبُ عَنْهُ، وَلكُلِّ حُجَّةٍ، وَلكُلِّ اسْتِدْلَالٍ. وَهُوَ أَمْرٌ قَدِيمٌ طَالَمَا تَنَازَعَ  
الْقَوْمُ فِيهِ. بَيْنَ قَائِلٍ: مَضَى الْعُلَمَاءُ، فَلَا عِلْمَ، وَلَا عَالِمَ، وَلَا مُؤَلِّفَ، وَلَا

<sup>١</sup> : المحاضرات في الأدب واللغة، للحسن اليوسفي، تح محمد حجّي، محمد إقبال، دار الغرب

الإسلامي\بيروت\ط٢\١٩٨٢. ١٩٨٢، ٣٦٤\١، ٣٦٥، ٣٦٦.

<sup>٢</sup> : المحاضرات في الأدب واللغة ٣٥٠\١.

مؤلف، ولا حاجة لنا في كاتب ولا كتاب، وبين قائل: لكل زمن رجال  
ولكل عصر أهل، ولهم البحث والاجتهاد والتأليف كما بحث من مضى  
قبلهم واجتهد وألف وكتب.

ففریق يقول: ما ترك الأول للآخر شيئاً، فلا يلتفت إلى معاصر.  
وفریق يقول: كم ترك الأول للآخر، فلا يقيد العلم بما مضى، ولا  
يقصر التأليف عليه، ولا يسلم باستيعابه كل شيء.

ومن الفریق الآخر: أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، على ما ذكره  
كثيرون، ومنه في كتاب الأشباه والنظائر: (( ومن أمثالهم السائرة: ما  
ترك الأول للآخر شيئاً، إلا أن أبا تمام، لم يرض بهذا المثل، حتى قال  
يصف قصيدة له:

لا زلت من شكري في حلة لا بسؤها ذو سلب فاجر  
يقول من تفرغ أسماعه كم ترك الأول للآخر  
ومن المعنى الأول قول عنتره: (( هل غادر الشعراء من مترد )) أي: ما  
تركوا كلاماً لم تكلم... ))<sup>١</sup>

ومنهم الشاعر جميل صدقي الزهاوي، ومن أبياته المشهورة:  
سممت كل قديم عرفته في حياتي  
إن كان عندك شيء من الجديد فهات<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> : الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، للخالدين ٢١١. تح د محمد يوسف، دار الشام للتراث\بيروت\بلا تا. والقصيدة في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١٦١٢. تح محمد عبده عزام، دار المعارف\القاهرة\ط٤.

<sup>٢</sup> : ديوان جميل صدقي الزهاوي ٤١٢١. دار العودة\بيروت\ط٢١٩٧٩م.

وَفِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ نُبْذَةُ مِمَّا قِيلَ فِي ذَلِكَ التَّنَازُعِ.  
 مِمَّا أوردَ الثَّعالِبِيُّ فِي يَتِيمَةِ الدَّهْرِ، رِسَالَةً لِأَبِي الحُسَيْنِ أَحْمَدَ بنِ فَارِسِ  
 بنِ زَكَرِيَّا إِلَى أَبِي عَمْرٍو الكَاتِبِ، كَانَ مِنْهَا:  
 (( وَمَنْ ذَا حَظَرَ عَلَى المُتَأَخَّرِ مُضَادَّةَ المُتَقَدِّمِ ؟  
 وَلِمَهُ تَأْخُذُ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ: مَا تَرَكَ الأوَّلُ لِلآخِرِ شَيْئًا، وَتَدَعُ قَوْلَ  
 الآخِرِ: كَمْ تَرَكَ الأوَّلُ لِلآخِرِ ؟  
 وَهَلِ الدُّنْيَا إِلَّا أَرْزَمَانٌ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ مِنْهَا رِجَالٌ ؟  
 وَهَلِ العُلُومُ بَعْدَ الأَصُولِ المَحْفُوظَةِ إِلَّا خَطَرَاتُ الأَوْهَامِ وَتَنَائِجُ العُقُولِ ؟  
 وَمَنْ قَصَرَ الآدَابَ عَلَى زَمَنٍ مَعْلُومٍ، وَوَقَفَهَا عَلَى وَقْتٍ مَحْدُودٍ ؟  
 وَلِمَهُ لَا يَنْظُرُ الآخِرُ مِثْلَ مَا نَظَرَ الأوَّلُ؛ حَتَّى يُؤَلَّفَ مِثْلَ تَأْلِيفِهِ، وَيَجْمَعَ  
 مِثْلَ جَمْعِهِ، وَيَرَى فِي كُلِّ ذَلِكَ مِثْلَ رَأْيِهِ ؟  
 وَمَا تَقُولُ لِفُقَهَاءِ زَمَانِنَا، إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مِنْ نَوَادِرِ الأحْكَامِ نازِلَةٌ لَمْ  
 تَخْطُرْ عَلَى بَالٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ؟  
 أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ لِكُلِّ قَلْبٍ خَاطِرًا، وَلِكُلِّ خَاطِرٍ نَتِيجَةٌ ؟... ))<sup>١</sup>  
 وَمِمَّا ذَكَرَهُ يَاقُوتٌ فِي مُعْجَمِ الأَدْبَاءِ، مِنْ كَلَامِ الجَاحِظِ: (( إِذَا  
 سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: مَا تَرَكَ الأوَّلُ لِلآخِرِ شَيْئًا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا يُرِيدُ أَنْ  
 يُفْلِحَ... ))<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي ٣\٤٦٤. تح د مفيد قميحة. دار الكتب

العلمية \ بيروت \ ط١١ \ ٢٠٠٠م

<sup>٢</sup> : معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٦\٧٨. نشرها مرجليوث، مطبعة دار المأمون.

وَفِي دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ: (( قَالَ الْجَاحِظُ: )) وَكَلَامٌ كَثِيرٌ قَدْ جَرَى عَلَى  
أَلْسِنَةِ النَّاسِ، وَلَهُ مَضْرُوءَةٌ شَدِيدَةٌ وَثَمَرَةٌ مُرَّةٌ. فَمِنْ أَضْرِّ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: (( لَمْ  
يَدْعِ الْأَوَّلُ لِلآخِرِ شَيْئًا )) .

قَالَ: فَلَوْ أَنَّ عُلَمَاءَ كُلِّ عَصْرِ، مُذْ جَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي أَسْمَاعِهِمْ،  
تَرَكَوْا الْاسْتِنْبَاطَ لِمَا لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْهِمْ عَمَّنْ قَبْلَهُمْ، لَرَأَيْتَ الْعِلْمَ مُخْتَلًا.  
فَكَفَمَا أَنَّهُ لَا يَمْتَعُكَ أَنْ تَرَى الْوُفَّ وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِنْ مَعْدِنِ تَبْرٍ، أَنْ  
تَطْلُبَ فِيهِ، وَأَنْ تَأْخُذَ مَا تَجِدُ وَلَوْ كَقَدْرِ تُوْمَةٍ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ  
رَأْيُكَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ ))<sup>١</sup>

وَفِي إِعْلَامِ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ التَّشْبِيهِ بِالْقَدِيمِ وَالنُّفُورِ مِنَ الْمُحْدَثِينَ:  
أُغْرِيَ النَّاسُ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ      وَبِذَمِّ الْجَدِيدِ غَيْرَ ذَمِيمِ  
لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ حَسَدُوا الْحَيَّ      وَرَفُّوا عَلَى الْعِظَامِ الرَّمِيمِ  
وَفِيهِ:

قُلْ لِمَنْ لَا يَرَى الْمُعَاصِرَ شَيْئًا      وَيَرَى لِلأَوَائِلِ التَّقْدِيمًا  
إِنَّ ذَاكَ الْقَدِيمَ كَانَ جَدِيدًا      وَسَيَعُدُّ هَذَا الْجَدِيدُ قَدِيمًا<sup>٢</sup>

وَمِمَّا أوردَهُ الْحَسَنُ الْيُوسُفِيُّ فِي الْمُحَاضِرَاتِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى ذَمِّ  
الْمُعَاصِرِينَ وَمَدْحِ الْمُتَقَدِّمِينَ: (( اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الطَّبَعِ مَرْكُوزٌ فِي طِينَةِ

<sup>١</sup> : دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه محمود محمد شاكر، مكتبة

الخانجي\القاهرة\ط٥\٢٠٠٤م. ص٢٩٢.

<sup>٢</sup> : إعلام الكلام ص ٢٨. مكتبة الخانجي\مصر\ط١\١٩٢٦. وقد نُشرَ باسم رسائل

الانتقاد.

الْأَدَمِيِّ مُنْذُ كَانَ، غَيْرُ مَخْصُوصٍ بِأَهْلِ زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، وَإِنْ كَانَتْ  
بَعْضُ الْأَزْمَنَةِ يَخْصُهَا اللَّهُ بِغَيْرِ مَا يَكُونُ فِي غَيْرِهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ  
لِعَارِضٍ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا دَهَتْهُمْ هَذِهِ الدَّاهِيَةُ مِنْ تَأْذِي بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ،  
وَعَدَمِ الظَّفَرِ بِالْغَرَضِ مِنَ الْغَيْرِ، جَعَلَ كُلُّهُ يَسْتَنْقِصُ أَهْلَ وَقْتِهِ؛ لِمُشَاهَدَةِ  
الْبَلَاءِ وَعَدَمِ الْجِدْوَى فِيهِمْ، وَيَمْدَحُ مَنْ مَضَى... فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا: فَسَدَ  
الزَّمَانُ، وَذَهَبَ النَّاسُ...))<sup>١</sup>

عَلَى أَنَّ الثَّانِي وَالنَّظَرَ فِيمَا يُكْتَبُ أَسْلَمَ عَاقِبَةً مِنْ تَعْمِيمِ الْحُكْمِ عَلَى  
كُلِّ مُعَاوِرٍ بِرَدَاةِ التَّأْلِيفِ، وَهُوَ عَلَى مَا فِي كِتَابِ إِعْلَامِ الْكَلَامِ، يَحْفَظُ  
مِنْ شَيْئَيْنِ: (( أَحَدُهُمَا: أَنَّ يَحْمَلُكَ إِجْلَالُكَ الْقَدِيمِ الْمَذْكُورَ عَلَى الْعَجَلَةِ  
بِاسْتِحْسَانٍ مَا تَسْمَعُ لَهُ، وَالثَّانِي: أَنَّ يَحْمَلُكَ إِصْغَارُكَ الْمُعَاوِرَ الْمَشْهُورَ  
عَلَى التَّهَاوُنِ بِمَا أُتِّشِدْتَ لَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ جَوْرٌ فِي الْأَحْكَامِ، وَظُلْمٌ مِنَ  
الْحُكَّامِ، حَتَّى تَسْمَعَ قَوْلَيْهِمَا، فَحِينَئِذٍ تَحْكُمُ لَهُمَا أَوْ عَلَيْهِمَا...))<sup>٢</sup>

وَعَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَسْبَابِ اسْتِحْشَاشِ بَعْضِ النَّاسِ، وَإِثَارِهِمُ الْعُزْلَةَ عَلَى  
مُخَالَطَةِ مَنْ لَا يَأْتُسُونَ بِهِ، وَتَخَوُّفِهِمْ مِنَ الْأَذَى، رَغِبَ بَعْضُ مَنْ كَتَبَ  
بِالْإِنْتِقَاعِ فِي بَيْتِهِ، وَفَضَّلَ الْوَحْدَةَ عَلَى مُجَالَسَةِ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَثْلَفَ  
مَا كَتَبَهُ لِيَسْلَمَ بِذَلِكَ مِمَّا يَخَافُهُ مِنَ الطَّعْنِ وَالْأَذَى.

<sup>١</sup> : المحاضرات في الأدب واللغة، للحسن اليوسي، تح محمد حجّي، محمد إقبال، دار الغرب

الإسلامي\بيروت\ط٢\١٩٨٢. ٣٥٨\١.

<sup>٢</sup> : إعلام الكلام ص ٢٨. مكتبة الخانجي\مصر\ط١\١٩٢٦. وقد نُشِرَ باسم رسائل

الانتقاد.

وَبِهَذَا عَلَّلَ أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيَّ إِثْلَافَ كُتُبِهِ: (( فَشَقَّ عَلَيَّ أَنْ أَدْعَهَا لِقَوْمٍ يَتَلَاعَبُونَ بِهَا، وَيُدْتَسُونَ عَرَضِي إِذَا نَظَرُوا فِيهَا، وَيَشْمَتُونَ بِسَهْوِي وَغَلْطِي إِذَا تَصَفَّحُوهَا.. وَكَيْفَ أَثْرُكُهَا لِأَنَّا جَاوَرْتُهُمْ عَشْرِينَ سَنَةً، فَمَا صَحَّ لِي مِنْ أَحَدِهِمْ وَدَادًا، وَلَا ظَهَرَ لِي مِنْ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ حِفَاطٌ... ))<sup>١</sup>

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ مَنْ أَتْلَفُوا كُتُبَهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (( أَبُو عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ... دَفَنَ كُتُبَهُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا أَثْرٌ... ))

وَهَذَا يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ، حَمَلَ كُتُبَهُ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ وَطَرَحَهُ فِيهِ، وَسَدَّ بَابَهُ، فَلَمَّا عُوْتِبَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: دَلَّنَا الْعِلْمُ فِي الْأَوَّلِ، ثُمَّ كَادَ يُضِلُّنَا فِي الثَّانِي، فَهَجَرْتَاهُ لِوَجْهِ مَنْ وَصَلْنَاهُ، وَكَرِهْنَاهُ مِنْ أَجْلِ مَا أَرَدْنَا.

وَهَذَا أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ، جَمَعَ كُتُبَهُ فِي تَنْوُرٍ وَسَجَرَهَا بِالنَّارِ.. وَهَذَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، مَزَّقَ أَلْفَ جُزْءٍ وَطَيَّرَهَا فِي الرِّيْحِ، وَقَالَ: لَيْتَ يَدِي قَطَعَتْ مِنْ هَاهُنَا، بَلْ مِنْ هَاهُنَا، وَلَمْ أَكْتُبْ حَرْفًا.. وَهَذَا شَيْخُنَا أَبُو سَعِيدِ السِّيْرَافِيِّ، سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ، قَالَ لَوْلَدِهِ مُحَمَّدًا: قَدْ تَرَكْتُ لَكَ هَذِهِ الْكُتُبَ، تَكْتَسِبُ بِهَا خَيْرَ الْأَجْلِ، فَإِذَا رَأَيْتَهَا تَخُونُكَ فَاجْعَلْهَا طُعْمَةً لِلنَّارِ... ))<sup>٢</sup>

وَمِنَ الَّذِينَ أَتْلَفُوا كُتُبَهُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالْأَدَبِ، فَدَفَنُوهَا، أَوْ أَوْصَوْا بِدَفْنِهَا، أَوْ أَحْرَقُوهَا، أَوْ غَسَلُوهَا، أَوْ أَلْقَوْهَا فِي الْمَاءِ.

<sup>١</sup> : معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٥\١٩. نشرها مرجليوث، مطبعة دار المأمون.

<sup>٢</sup> : معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٥\٢١ — ٢٢. نشرها مرجليوث، مطبعة دار المأمون.

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُطَّلِبِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٧٨ هـ أَنَّهُ (( غَسَلَ مُسَوِّدَاتِ  
 شَعْرِهِ، وَأَحْرَقَ بَعْضَهَا بِالنَّارِ... ))<sup>١</sup>  
 وَدَاوُدُ الطَّائِيّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٦٠ ، أَوْ ١٦٥ هـ: (( عَمَدَ إِلَى كُتْبِهِ  
 فَعَرَفَهَا فِي الْفُرَاتِ... ))<sup>٢</sup>  
 وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٦ هـ: (( أَوْصَى أَنْ تُدْفَنَ كُتْبُهُ،  
 وَكَانَ نَدَمَ عَلَيَّ أَشْيَاءَ كَتَبَهَا عَنْ قَوْمٍ ))<sup>٣</sup>  
 وَشُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٦٠ هـ: (( قَالَ سَعْدُ بْنُ شُعْبَةَ:  
 أَوْصَى أَبِي إِذَا مَاتَ أَنْ أُغْسَلَ كُتْبُهُ، فَغَسَلْتُهَا.  
 وَهَذَا قَدْ فَعَلَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ: بِالْغُسْلِ، وَبِالْحَرْقِ، وَبِالدَّفْنِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَقَعَ  
 فِي يَدِ إِنْسَانٍ وَاهٍ، يَزِيدُ فِيهَا أَوْ يُعَيِّرُهَا ))<sup>٤</sup>  
 وَعَطَاءُ بْنُ مُسْلِمٍ: (( دَفَنَ كُتْبَهُ ))<sup>٥</sup>  
 وَعَلِيُّ بْنُ مُسَهَّرٍ: (( كَانَ قَدْ دَفَنَ كُتْبَهُ ))<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، تح محمد عطا، مصطفى عطا، دار  
 الكتب العلمية\بيروت\ط٢\١٩٩٥م. ٢٥٢\١٦.

<sup>٢</sup> : تاريخ بغداد ٣٤٤\٨. تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب  
 العلمية\بيروت\ط٢\٢٠٠٤م.

<sup>٣</sup> : سير أعلام النبلاء ٢٦١\٧. الذهبي، مؤسسة الرسالة\بيروت\ط١١\٢٠٠١م.

<sup>٤</sup> : سير أعلام النبلاء ٢١٣\٧.

<sup>٥</sup> : تهذيب التهذيب ٢١١\٧. ابن حجر العسقلاني، دار صادر\بيروت\ مطبعة مجلس  
 دائرة المعارف بالهند، ط١\١٣٢٦هـ.

<sup>٦</sup> : تهذيب التهذيب ٣٨٣\٧.

وَعَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٤ هـ: (( صَنَّفَ كِتَابًا كَبِيرًا فِي  
إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ... كَانَ يُقَارِبُ خَمْسَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِيهِ، فَعَسَلَهُ  
قَبْلَ مَوْتِهِ... ))<sup>١</sup>

وَابْنُ الْجَعَابِيِّ، مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٥٥ هـ: (( أَوْصَى بِأَنْ  
تُحْرَقَ كُتُبُهُ، فَأُحْرِقَ جَمِيعُهَا، وَأُحْرِقَ مَعَهَا كُتُبُ النَّاسِ كَانَتْ  
عِنْدَهُ... ))<sup>٢</sup>

وَفِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: (( سَمِعْتُ الدَّارِقُطَنِيَّ، يَقُولُ: أُخْبِرْتُ بَعْلَةَ  
الْجَعَابِيِّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ يُحْرِقُ كُتُبَهُ... ))<sup>٣</sup>  
وَقَدْ جَمَعَ الْأُسْتَاذُ نَاصِرُ الْحَزِيمِي أَخْبَارَ بَعْضِهِمْ فِي كِتَابِهِ ( حَرْقُ الْكُتُبِ  
فِي الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ).

فَاسْتَحْسَنَ مَنْ اسْتَحْسَنَ ذَلِكَ، وَاحْتَجَّ بِهِ لِتَعْلِيلِ إِهْمَالِ كُتُبِ الْمَعَاصِرِينَ  
وَتَبَايُنِ الْآرَاءِ فِي ذَلِكَ.

مَعَ أَنَّهُ لَوْلَا الْكِتَابَةُ لَمَا عَرَفْنَا مِنْ أَخْبَارِ هَؤُلَاءِ شَيْئًا، وَلَوْ أُثْلِفَتِ الْكُتُبُ  
الَّتِي ذَكَرْتَ ذَلِكَ؛ لَمَا كَانَ هَذَا الْاِحْتِجَاجُ، فَالْاِحْتِجَاجُ عَلَيَّ قَلَّةٌ فَائِدَةٌ  
الْمَعَاصِرِينَ مَا كَانَ لَوْلَا كُتُبُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ.  
عَلَى أَنَّهُ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ رَأْيًا لَا يَقْتَضِي شَيْئًا، وَلَا يُوجِبُ حُكْمًا،  
وَلَا يَقْطَعُ بِدَلَالَةٍ.

<sup>١</sup> : انباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي. ٢٨٤\٢. تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة

العصرية\صيدا\ط١١\٢٠٠٤.

<sup>٢</sup> : تاريخ بغداد ٣\٢٤١.

<sup>٣</sup> : سير أعلام النبلاء ١٦\٩٠.

وَمِنْ ذَلِكَ الْاِحْتِجَاجُ بِأَنَّ الْجُنَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ، الْمَعْرُوفَ بِأَبِي الْقَاسِمِ  
الْحَزَازِ، وَبِالْقَوَارِيرِيِّ، فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالتَّصَوُّفِ، كَانَ مِمَّنْ أَوْصَى  
بِحَرَقِ كُتُبِهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ.

### تَعْقِيْبُنَا عَلَى هَذَا الْاِحْتِجَاجِ

فِي التَّعْقِيْبِ أُمُورٌ، مِنْهَا: الْإِشَارَةُ إِلَى اخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ، وَعَدَمِ التَّوَثِيْقِ،  
وَمِنْهَا: تَوْجِيْهُ تِلْكَ الْوَصِيَّةِ وَبَيَانُ مَا يُحْتَمَلُ فِيهَا.

### التَّوَثِيْقُ

لَمْ يُذَكَّرِ الْمَصْدَرُ الَّذِي وَثَّقَ هَذَا الْخَبَرَ، وَالَّذِي وَجَدْتُهُ فِيْمَا قَرَأْتُ أَنَّهُ  
أَوْصَى بِدَفْنِ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِهِ، عَلَى مَا جَاءَ فِي كِتَابِ تَارِيخِ بَغْدَادِ  
لِلْخَطِيْبِ الْبَغْدَادِيِّ، وَلَفْظُهُ فِيهِ: (( أَوْصَى بِدَفْنِ جَمِيْعِ مَا هُوَ مَنْسُوبٌ  
إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِهِ. فَقِيْلَ: وَلِمَ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ: أَحْبَبْتُ أَنْ لَا يَرَانِي اللَّهُ وَقَدْ تَرَكْتُ شَيْئًا مَنْسُوبًا إِلَيَّ، وَعِلْمٌ  
الرَّسُولِ ﷺ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ))<sup>١</sup>

وَفِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى لِلشَّعْرَانِيِّ، وَلَفْظُهُ: (( أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ مَعَهُ ))<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> : تاريخ بغداد ٢٥٦\٧. تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب  
العلمية\بيروت\ط٢٠٠٤\٢٠٠٤م.

<sup>٢</sup> : الطبقات الكبرى (لوائح الأنوار في طبقات الأحيار). للشيخ عبد الوهاب الشعراني،  
٧٣\١. طبع بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر سنة ١٣١٥هـ، وفيه لفظ (بَيْنَ أَظْهَرِ النَّاسِ)  
مَكَانَ لَفْظِ (بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ) فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ، وَعَنْ هَذَيْنِ نَقَلَتِ الدُّكْتُورَةُ سَعَادُ الْحَكِيمُ فِي  
كِتَابِ تَاجِ الْعَارِفِينَ، بِلَفْظِ (أَوْصَى بِدَفْنِ) انظر تاج العارفين ص ١٧٥. \ دار الشروق\  
القاهرة\ط٢٠٠٤\١١.

وَمِنْ حَقِّ التَّقْدِيرِ الإِحَالَةَ عَلَى الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا ذَلِكَ.

## الكلام على هذا الاحتجاج

يَحْتَمِلُ هَذَا، عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ، أُمُورًا، مِنْهَا:  
أَنَّ بَعْضَ الصُّوفِيَّةِ لَا يَمِيلُ إِلَى الْكِتَابَةِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْجُنَيْدُ، رَحِمَهُ اللَّهُ،  
فَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَرَجَّمَ لَهُ بِالْفَاطِمَةِ مُخْتَلَفَةً، مِنْهَا أَنَّ الْجُنَيْدَ قَالَ لِلشُّبَلِيِّ:  
( ( كُنَّا نَأْخُذُ الْكَلِمَةَ.... وَتَتَكَلَّمُ بِهَا فِي السَّرَادِيْبِ، وَقَدْ جِئْتَ أَنْتَ  
فَخَلَعْتَ الْعِدَارَ... ))  
وَمِنْهَا: ( ( نَحْنُ حَبْرْنَا هَذَا الْعِلْمَ تَحْبِيرًا، ثُمَّ حَبَّأْنَاهُ فِي السَّرَادِيْبِ،  
فَجِئْتَ أَنْتَ فَأَظْهَرْتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَأِ... ))<sup>١</sup>  
وَالثَّانِي: مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَعْلِيلِ الذَّهَبِيِّ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ( ( وَهَذَا قَدْ  
فَعَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ: بِالْعُسْلِ، وَبِالْحَرْقِ، وَبِالدَّفْنِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ  
إِنْسَانٍ وَاهٍ، يَزِيدُ فِيهَا أَوْ يُعَيِّرُهَا ))<sup>٢</sup>  
وَالثَّلَاثُ: مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَعْلِيلِ أَبِي حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ الْمَنْقُولِ فِي مُعْجَمِ  
الْأَدْبَاءِ: ( ( فَشَقَّ عَلَيَّ أَنْ أَدْعَهَا لِقَوْمٍ يَتَلَاعَبُونَ بِهَا، وَيُدْتَسُونَ عَرَضِي إِذَا  
نَظَرُوا فِيهَا، وَيَشْمَتُونَ بِسَهْوِي وَغَلْطِي إِذَا تَصَفَّحُوهَا... ))<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> : اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، عبد الله بن علي السراج الطوسي، ضبطه: كامل مصطفى الهداوي، دار الكتب العلمية\بيروت\ط٢\٢٠٠٧م\ص٢١٣. تاج العارفين، د سعاد الحكيم\ دار الشروق\ القاهرة\ط١\٢٠٠٤\ ص ١٧٤ - ١٧٥.

<sup>٢</sup> : سير أعلام النبلاء ٧\٢١٣.

<sup>٣</sup> : معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٥\١٩. نشرها مرجليوث، مطبعة دار المأمون.

## مَا يَحْتَمِلُهُ الْخَبْرُ

مِمَّا يَحْتَمِلُهُ: كَرَاهَةُ الْمُوصِي أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ سَبَقَهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ.  
وَمِنْهُ: كَرَاهَةُ أَنْ يَخْتَلِطَ كَلَامُهُ بِمَا كَانَ يَسْتَشْهَدُ بِهِ مِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ،  
فَيُنْسَبَ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ، عَلَى قَوْلِهِ: (( أَحَبِّتُ أَنْ لَا يَرَانِي اللَّهُ، وَقَدْ  
تَرَكْتُ شَيْئًا مَنَسُوبًا إِلَيَّ... ))  
وَمِنْهُ: أَنْ يُؤْذَى أَحَدٌ مِنْ قُرَاءِ كُتُبِهِ لِمَا فِيهَا مِمَّا يُنْكِرُهُ غَيْرُهُ.  
وَمِنْهُ: أَنَّهُ لَمْ يَرِ مَنْ يَعُدُّهُ أَهْلًا لِذَلِكَ الْأَمْرِ.

## مَا نَحْتَجُّ بِهِ عَلَى جَوَازِ التَّأْلِيفِ فِي كُلِّ زَمَانٍ

فِيمَا رُوِيَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع) وَحُفِظَ فِي الْكُتُبِ الَّتِي لَوْلَاهَا لَمَّا  
عَرَفْنَا مِنْ كَلَامِهِمْ شَيْئًا، أَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الْكِتَابَةِ، وَمَنْفَعَةِ الْكُتُبِ، وَفِي  
بَعْضِهَا إِنِاطَةُ الْحَفِظِ بِالْكِتَابَةِ.  
مِنْهَا عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام: (( اَكْتُبُوا، فَإِنَّكُمْ لَا تَحْفَظُونَ حَتَّى  
تَكْتُبُوا ))<sup>١</sup>  
وَعَنْهُ عليه السلام: (( احْتَفِظُوا بِكُتُبِكُمْ فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا ))<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> : أصول الكافي للكليني ١/١٠٥. (١٧) باب رواية الكتب والأحاديث. حديث (٩).  
تفصيل وسائل الشيعة ٢٧/٨١. (٨) باب وجوب العمل بأحاديث النبي.. حديث  
(٣٣٢٦١). بحار الأنوار مج ١/٢٩٥. (١٩) باب فضل كتابة الحديث وروايته.  
حديث (٣٨).

<sup>٢</sup> : أصول الكافي ١/١٠٥. (١٧) باب رواية الكتب والأحاديث. حديث (١٠). تفصيل  
وسائل الشيعة ٢٧/٨١. (٨) باب وجوب العمل بأحاديث النبي.. حديث (٣٣٢٦٢). بحار  
الأنوار مج ١/٢٩٥. (١٩) باب فضل كتابة الحديث وروايته. حديث (٤٠).

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (( اَكْتُبْ وَبُتَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ، فَإِنْ مِتَّ فَأُورِثْ  
كُتُبَكَ بَنِيكَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ هَرَجٌ لَا يَأْنَسُونَ فِيهِ إِلَّا  
بِكُتُبِهِمْ ))<sup>١</sup>

وَمَا وَقَفْتُ مِنْ كَلَامِهِمْ عَلَى تَحْرِيمِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا.  
أَفَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يَقْبَلُ حُجَّةً أَوْ يُعْتَدُّ بِهِ شَاهِدًا.  
فَإِذَا قِيلَ لَنَا: لَا تَكْتُبُوا، قُلْنَا: إِنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: اكْتُبُوا.  
وَإِذَا أَوْصَى أَحَدٌ أَنْ تُدْفَنَ كُتُبُهُ، فَإِنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: احْتَفِظُوا  
بِكُتُبِكُمْ.

وَإِذَا قِيلَ لَنَا: اكْتُبُوا لِأَنْفُسِكُمْ، قُلْنَا: إِنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:  
اَكْتُبْ وَبُتَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ.  
وَإِذَا أَوْصَى أَحَدٌ أَنْ تُحْرَقَ كُتُبُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، أَوْ أُحْرَقَهَا قَبْلَ مَوْتِهِ، فَإِنَّ  
الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْصَى أَنْ تُورِثَ مَا كَتَبْنَا فِي قَوْلِهِ: فَإِنْ مِتَّ فَأُورِثْ  
كُتُبَكَ بَنِيكَ.

وَلَمْ يَقُلْ: أُحْرِقُوا مَا كَتَبْتُمْ، وَلَا أَوْصَى بِدَفْنِهَا.  
فَمَنْ اسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ فَأَحْرَقَ كُتُبَهُ، فَإِنَّا إِذَا اسْتَوْحَشْنَا مِنَ النَّاسِ  
اسْتَأْنَسْنَا بِكُتُبِنَا .

---

<sup>١</sup> : أصول الكافي للكليني ١٠٥١/١ . (١٧) باب رواية الكتب والأحاديث . حديث (١١) .  
تفصيل وسائل الشيعة ٨١/٢٧ . (٨) باب وجوب العمل بأحاديث النبي .. حديث  
(٣٣٢٦٣) . بحار الأنوار مج ١ / ٢٩٤ . (١٩) باب فضل كتابة الحديث وروايته .  
حديث (٢٧) .

وَمَا وَحَدَّثُ مَنْ عَدَّ تَأَخَّرَ وِلَادَتَهُ سَبَبًا يُحَرِّمُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَلَّفَ كَمَا أَلَّفَ  
مَنْ قَبْلَهُ، وَأَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَنْتَقِدَ، وَأَنْ يُصَحِّحَ، وَأَنْ يُصَوِّبَ،  
وَأَنْ يُصَلِّحَ.

وَرُبَّمَا خَطَرَ فِي بَالِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا لَمْ يَخْطُرْ فِي بَالِ الْمُتَقَدِّمِينَ، أَوْ رُبَّمَا  
فَصَّلَ الْمُتَأَخِّرُونَ مَا أَجْمَلَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ، أَوْ أَجْمَلُوا مَا فَصَّلُوا، أَوْ لَخَّصُوا،  
أَوْ أَوْجَزُوا، أَوْ صَاغَوْهُ بِأَسَالِيبِ الْبَيَانِ فِي زَمَانِهِمْ.

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ ( تُحَفُّ الْعُقُولُ ) :  
( ( وَرَأَيْتُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ، قَدْ أَلْفَوْا عَنْهُمْ فِي الْحَلَالِ  
وَالْحَرَامِ وَالْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ، مَا قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ ثَوَابَهُ، وَأَعْنَوْا مَنْ بَعْدَهُمْ  
عَنْ مَوْوَنَةِ التَّأْلِيفِ، وَحَمَلُوا عَنْهُ ثِقَلَ التَّصْنِيفِ.

وَوَقَفْتُ مِمَّا أَنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ عُلُومِ السَّادَةِ (ع) عَلَى حِكْمٍ بِالْعَةِ وَمَوَاعِظَ  
شَافِيَةٍ وَتَرْغِيبٍ فِيمَا بَقِيَ وَتَرْهِيدٍ فِيمَا يَفْنَى وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ وَحُضٌّ عَلَى  
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ، وَنَهْيٌ عَنْ مَسَاوِيهِمَا، وَنَدْبٌ إِلَى السُّورَعِ  
وَحَثٌّ عَلَى الزُّهْدِ، وَوَجَدْتُ بَعْضَهُمْ (ع) قَدْ ذَكَرُوا جُمْلًا مِنْ ذَلِكَ فِيمَا  
طَالَ مِنْ وِصَايَاهُمْ وَخُطْبِهِمْ وَرَسَائِلِهِمْ وَعُهُودِهِمْ، وَرُوي عَنْهُمْ فِي مِثْلِ  
هَذِهِ الْمَعَانِي أَلْفَاظٌ قَصُرَتْ وَأَنْفَرَدَتْ مَعَانِيهَا وَكَثُرَتْ فَائِدَتُهَا.

وَلَمْ يَنْتَهَ إِلَيَّ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي تَأْلِيفٌ أَقْفُ عَلَيْهِ وَلَا  
كِتَابٌ أَعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَأَسْتَعْنِي بِهِ، يَأْتِي عَلَى مَا فِي نَفْسِي مِنْهُ.

فَجَمَعْتُ مَا كَانَتْ هَذِهِ سَبِيلُهُ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ مَا جَانَسَهُ وَضَاهَاهُ  
وَشَاكَلَهُ وَسَاوَاهُ مِنْ خَبَرٍ غَرِيبٍ أَوْ مَعْنَى حَسَنٍ (..))

فَهَلْ نَعُدُّ تَأْلِيْفَهُ كِتَابًا تَخَيَّرَ فِيهِ مَا أَحَبَّ أَنْ يَرَاهُ فِي كِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ،  
خَطًّا؛ لِأَنَّ مَنْ قَبْلَهُ أَلْفَ فِي الْأَمْرِ نَفْسِهِ؟

ثُمَّ أَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَعِيشَ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَوْ فِي غَيْرِهِ أَحَدٌ يَخْطُرُ فِي بَالِهِ  
أَنْ يَشْرَحَ ذَلِكَ الْكِتَابَ، أَوْ أَنْ يُحَقِّقَهُ وَيُخْرِجَ أَحَادِيثَهُ؟

وَإِذَا كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، لَمْ يَقِفْ عَلَى كِتَابٍ يَأْتِي عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ؛  
لَيْسْتَغْنِي بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، أَفَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُولَدَ بَعْدَهُ بَشَرٌ يَقْرَأُ، ثُمَّ يُؤَلِّفُ  
كِتَابًا فِي شَيْءٍ يَأْتِي عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ كَمَا فَعَلَ ابْنُ شُعْبَةَ؟

### الكَلَامُ عَلَى الْإِسْنَادِ

الَّذِي أَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى وُجُوبِ الْإِهْتِمَامِ بِإِسْنَادِ الشَّوَاهِدِ، قَوْلُ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْكَلْبَلَاءِ: (( إِذَا حَدَّثْتُمْ بِحَدِيثٍ فَأَسْنِدُوهُ إِلَى  
الَّذِي حَدَّثْتُمْ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا، فَلَكُمْ، وَإِنْ كَانَ كَذِبًا، فَعَلَيْهِ ))<sup>١</sup>

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ عَلَى مَا فِي عِيُونِ الْحِكْمِ يُطَوَّى مَعَ  
بِسَاطِهِ، فَكَيْفَ تَكُونُ الْحَالُ فِيمَا يُكْتَبُ؟

وَالِاحْتِجَاجُ عَلَى أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَهْتَمَّ لِمَا يُقَالُ فِينَا،  
وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِمَا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْكَلْبَلَاءِ: (( أَيُّهَا النَّاسُ.  
اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِعَاقِلٍ مَنْ أَنْزَعَجَ مِنْ قَوْلِ الزُّورِ فِيهِ، وَلَا بِحَكِيمٍ مَنْ

---

<sup>١</sup> : أصول الكافي للكليني ١٠٤١/١. (١٧) باب رواية الكتب والأحاديث. حديث (٧).  
تفصيل وسائل الشيعة ١٢٧/٨١. (٨) باب وجوب العمل بأحاديث النبي.. حديث  
(٣٣٢٥٩). بحار الأنوار مج ١/٣٠٣. (٢١) باب آداب الرواية. حديث (١٥).

رَضِيَ بِثَنَاءِ الْجَاهِلِ عَلَيْهِ، النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ، وَقَدَّرُ كُلُّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ، فَتَكَلَّمُوا فِي الْعِلْمِ تَبَيَّنُ أَقْدَارُكُمْ<sup>١</sup>))  
 لَا يَقْتَضِي السُّكُوتَ عَمَّا يُقَالُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَنْزِعَاجَ هُوَ الْقَلْقُ وَالْاضْطِرَابُ، فَالْمُرَادُ أَنْ لَا يَقْلَقَ مَنْ يُعَابُ زُورًا وَلَا يَعْتَمَّ مَنْ يُوصَفُ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَفْضِيلَ السُّكُوتِ عَلَى الرَّدِّ، وَالصَّمْتُ عَلَى دَفْعِ مَا يُقَالُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَا يُقَالُ أَقْلَ مِنْ أَنْ يُرَدَّ عَلَى صَاحِبِهِ، وَلِكُلِّ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَا يَجِبُ رَدُّهُ، وَبَيْنَ مَا يَكُونُ السُّكُوتُ عَنْهُ أَفْضَلَ مِنْ رَدِّهِ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ تَقْدِيرِ كُلِّ وَرَأْيِهِ.

قَالَ تَعَالَى حِكَايَةَ قَوْلِ قَوْمِ نُوحٍ لَهُ وَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا

نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ ﴿٢٨﴾ [سورة هود]

فَمَا سَكَتَ عَنْ قَوْلِهِمْ، مَعَ أَنَّ قَوْلَهُمْ لَا يَضُرُّهُ وَلَا يَسْلُبُهُ نُبُوَّتَهُ؟  
 وَلَمْ كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَيْكَ نَفِي مَا اتَّهَمَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ أَنْبِيََاءَهُ، وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

لَمَجْنُونٌ ﴿١﴾ [سورة الحجر]

وَنَفِي ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿١﴾ [سورة القلم]

<sup>١</sup> : تحف العقول. حكم أمير المؤمنين ومواعظه.

فَلِمَ كَانَ هَذَا، مَعَ أَنَّ اتِّهَامَهُمْ بَاطِلٌ لَا وَزْنَ لَهُ ؟  
 وَلِمَ رَدَّ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ زُورًا. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمِيرِ  
 الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي رَدِّ كَلَامِ عَمْرِ بْنِ الْعَاصِ: (( عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ، يَزْعُمُ  
 لِأَهْلِ الشَّامِ أَنْ فِي دُعَابَةٍ، وَأَنِّي امْرُؤٌ تَلْعَابَةٌ، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ ؟  
 لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَنَطَقَ آثِمًا. أَمَا وَشَرُّ الْقَوْلِ: الْكَذِبُ، إِنَّهُ لِيَقُولُ  
 فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُّ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَنْخَلُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ... ))<sup>١</sup>  
 وَلِمَ كَتَبَ مَنْ كَتَبَ مِنْ شُيُوخِنَا وَعُلَمَائِنَا فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ اتَّهَمَهُمْ فِي  
 إِسْلَامِهِمْ وَعُرُوبَتِهِمْ ؟

فَلِمَ أَلَّفَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الصَّالِحُ، رَحِمَهُ اللهُ، كِتَابَ النَّبَأِ الْيَقِينِ، وَدَفَعَ  
 فِيهِ بَعْضَ مَا يُقَالُ فِينَا ؟  
 وَفِي ذَلِكَ قَوْلُهُ: (( فَتَبَيَّنْتُ... أَنَّ الْفِرْقَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ الْعَلَوِيَّةَ، قَدْ  
 رَمَتْهَا فِي ظُلُمَاتِ الْأَجْيَالِ الْغَابِرَةِ أَلْسِنَةُ الْمُفْتَرِينَ، وَأَقْلَامُهُمْ بِشَتَّى التُّهْمِ..  
 فَدَفَعَنِي حُبُّ الْإِتِّصَارِ لِلْحَقِّ الْمَهِيضِ... لِتَأْلِيفِ هَذِهِ الْعَجَالَةِ وَسَمِّيَتْهَا  
 " النَّبَأُ الْيَقِينُ عَنِ الْعَلَوِيِّينَ " ))<sup>٢</sup>

وَلِمَ أَلَّفَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْحَيَّرُ، رَحِمَهُ اللهُ، فِي نَقْدِ كِتَابِ تَارِيخِ  
 الْعَلَوِيِّينَ لِمُحَمَّدِ أَمِينٍ غَالِبِ الطَّوِيلِ ؟  
 وَلِمَ كَتَبَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ يَاسِينَ، رَحِمَهُ اللهُ، مِمَّا كَتَبَ رَدًّا عَلَى مَنْ  
 يَتَّهَمُنَا فِي عُرُوبَتِنَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (( أَفَلَيْسَ مِنَ الْمُخْجَلِ أَنْ يَقُولَ عَنَّا

<sup>١</sup> : شرح نهج البلاغة ٣/٣٩٩. الاختيار (٨٣). تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة

العصرية \صيدا\١٤\٢٠٠٤م.

<sup>٢</sup> : النبأ اليقين عن العلويين ص ١٧. دار المرساة\اللاذقية\٣.

دُعَاةُ السِّيَاسَةِ: أَنَّنَا تَارَةٌ حَثِيونَ، وَطَوْرًا صَلِيبيونَ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ سَلْخَنَا  
عَنِ الْعَرَبِ... إِنَّنَا عَرَبٌ لَا نَرْضَى بِالْعَرَبِ وَالْعُرُوبَةِ بَدَلًا...<sup>١</sup>  
وَلَمْ نَشَرَ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّطِيفِ إِبرَاهِيمَ، رَحِمَهُ اللهُ، سَنَةَ ١٩٢٤ فِي مَجَلَّةِ  
العرفان، مَا مِنْهُ قَوْلُهُ:

يَا بَنِي قَوْمِي مَا هَذَا الرَّقَادُ      فَلَقَدْ أَسْفَرَ صُبْحُ الْأَدَبِ  
نَمْتُمْ حَيْثُ سِوَاكُمْ فِي اجْتِهَادُ      يَتَبَارُونَ لِنَيْلِ الرُّتَبِ  
أَحْرَزُوا الْعِلْمَ وَبِالْعِلْمِ يُقَادُ      كُلُّ صَعْبٍ فَهُوَ أَسْمَى الْأَرَبِ  
أَنْفُوا أَنْ يَمْتَطُوا ظَهَرَ الْجِيَادُ      فَامْتَطُوا كِبْرًا مَتُونَ السُّحْبِ<sup>٢</sup>

وَلَمْ قَالَ الدكتور وَجِيه مِحْيِي الدِّينِ، رَحِمَهُ اللهُ، مِمَّا قَالَ:

يَا أَيُّهَا الْجَبَلُ السَّامِي بَعْنَصْرِهِ      أَلَا نُهَوِّضًا رَعَاكَ اللهُ مِنْ جَبَلِ  
إِنَّ الْعُلُومَ أَنْارَتْ كُلَّ خَافِيَةٍ      وَأَنْتَ عَنْ نُورِهَا الْوَضَّاحِ فِي شُعْلِ  
إِنَّ الْعَرِيبَ امْتَطَى الْأَرِيَّاحِ مُتَّجِهًا      نَحْوَ السَّمَاءِ يُرِيدُ الْبَحْثَ عَنْ زُحْلِ  
وَأَنْتَ مُلْتَزِمٌ هَذَا السُّكُوتِ وَهَلْ      تَرْضَى مِنَ الْبَحْرِ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْبَلْلِ  
ضَاهَتْ رِجَالُكَ أَقْوَى النَّاسِ مِنْ قَدَمِ      أَلَمْ تَزَلْ هَكَذَا أَمْ لَيْسَ مِنْ رَجَلِ<sup>٣</sup>

وَلَمْ رَنَاهُ أَكْثَرُ شَيْوَحِنَا، وَأَنْتَوَا عَلَى مَجَلَّتِهِ (مَجَلَّةُ النَّهْضَةِ) ؟

<sup>١</sup> : مجلة النهضة، العدد التاسع آب ١٩٣٨ . ص ٤٢٣ — ٤٢٧ .

<sup>٢</sup> : التراث الأدبي للعلامة الشيخ عبد اللطيف إبراهيم ١١/٣٨٠ .

<sup>٣</sup> : وجيه محيي الدين ( عنوان يقظة ووجه جيل ) جمع وتحقيق أحمد علي الحسن . ص ٥٠ .

وَكَانَ مِمَّا رُئِيَ بِهِ، قَوْلُ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ حَمْدَانَ الْخَيْرِ، رَحِمَهُ اللهُ:

أَيْنَ مِنْ لُجَّةِ الْبَيَانَ يَرَاغُ لَمْ تَجِدْ مِثْلَهُ اللَّالِي سُبُوحًا  
لَا جُمُودَ الْقَدِيمِ رَافِقَ فِي السَّيِّرِ وَلَا اسْتَصْحَبَ الْجَدِيدَ الْقَبِيحًا  
أَجُودُ الْقَوْلِ إِنْ تَكَلَّمْتَ مَا لَا تَتَعَنَّى لَهُ الْفُهُومُ الشُّرُوحًا<sup>١</sup>

وَلَمْ وَلَمْ، كَثِيرٌ لَا أُرِيدُ إِحْصَاءَهُ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ.

أَدْمَنْتُ مَا شَعْتُ إِلَّا أَنْبِي رَجُلٌ مَا كَانَ لِلِإِثْمِ أَوْ فِي الْإِثْمِ إِدْمَانِي  
وَيَشْهَدُ اللهُ لَمْ يَسْتَهْوِنِي أَرْجُ هَبَّتْ رِيَّاحِيْنُهُ فِي غَيْرِ بُسْتَانِي<sup>٢</sup>

ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ.

كَاتِبُهُ

تَمَّامُ أَحْمَدَ

٢٠١٥/٧/٢٦

<sup>١</sup> : ديوان الشاعر الشيخ محمد حمدان الخير ١/٢٥٤. تقديم : د سلوى الخير.

<sup>٢</sup> : ديوان الشاعر الشيخ محمد حمدان الخير ١/٩٤.